مقتطف

تنشر «العربي الجديد»، على حلقات اسبوعية، ترجمة الشاعر والروائي والناقد الفلسطيني محمد الاسعد لكتاب «مدن غير مرئية» لإيتالو كالفينو. يعدّ العمل من آخر ما ترجمه الاسعد، قبل رحيله المفاجئ في ايلول/ سبتمبر الماضي

إيتالو كالفينو

مدن غير مرئية [7]

يَنسِجن سجّاداً من ليف النخيل

رسم تحضيري للجهيز «البوّابات»، كريستو جافاشيف، بلغاريا

أوليفيا إلى حياةِ حرّة وحضارة مصفّاة، سأخبرك عن السيّدات اللواتي ينزلقن ليلاً في قوارب صغيرة مضاءة بين ضفّتي مصبّ نهر أخضر، ولكنّ هذا ليس إلّا لتذكيرك أنّه في الضواحي، حيث يهبط الرجال والنساء كلّ مساء مثل صفوف من السائرين في نومهم، ينفجر هناك أحدهم ضاحكاً في الظلام دائماً، مُطلقاً سيلاً من المزاح والسخرية، ربّما أنت لا تعرف هذا: للحديث عن أوليفيا لا تستطيع استخدام كلمات مختلفة. فإذا كانت هناك حقاً أوليفيا ذات نوافذ مُعْمدة وطاووس وسرّاجين ونسّاجات سجّاد وقوارب صغيرة ومصبّات أنهار، فستكون ثقباً أسود بائساً يتجمّع حوله الذباب. ولوصفه، سيكون عليّ العودة إلى استعارات السناج وقعْقعة العجلات والأفعال المكرورة والسخرية. الزيف ليس في الكلمات أبداً، إنه في الأشياء.

■■■

مدن خفاف (4)

مدينة سوفرونيا مبنيّة من نصفَي مدينتين. في إحداهما توجد سكّة حديد مدينة الملاهي العظيمة، بحدباتها شديدة الانحدار؛ دوّامة الخيول بسلاسل شعاع دواليبها؛ عجلة الأقفاص الحديدية الدوّارة؛ طبقة الموت براكبي درّاجاتها الجائمين؛ القمّة الكبيرة وفي وسطها تتدلّى مجموعة أراجيح البهلوانات. أمّا نصف المدينة الآخر فهو من حجارة ورخام وإسمنت، وفيه المصرف والمعامل والقصور والسلخ والمدرسة وكلّ ما تبقّى. أحد نصفَي المدينة دائمٌ والآخر مؤقّت، يقتلعونه حالما تنتهي فترة إقامته، يفكّكونه ويأخذونه بعيداً، مُعيدين إقامته في القِطع الخالية من نصف المدينة الأخرى.

وهكذا يحلّ كلّ سنة اليومُ الذي ينقل فيه العمّال القوصرات الرخامية، يُنزلون الجدران الحجرية والبوّابات الإسمنتية الضخمة، يفكّكون الوزارات، النُصب التذكاري، أرصفة تحميل السفن، مصفاة النفط، المستشفى، يحملونها على مقطورات تتبع خطّ رحلتهم السنوي من موقف إلى موقف. هنا يبقى قائما نصفُ سوفرونيا ذو أروقة التدريب على الرمي، دوّامات الخيول، الصرخة المتدلية من عربة مقدّمة سكّة حديد الملاهي، وتبدأ باحتساب عدد الشهور والأيام التي يجب أنْ تنتظرها قبل أن تعود القافلة، وتستطيع حياةً كاملة أن تبدأ مجدّدا.

■■■

مدن متأجرة (3)

حينما يدخل الرحالة المنطقة التي عاصمتها يوتروبيا، لا يشاهد مدينة واحدة بل عدّة مدن متساوية الأحجام، لا تختلف إحداها عن الأخرى، متناثرة فوق هضبة شاسعة منبسطة. يوتروبيا ليست واحدة، بل هي هذه المدن مجتمعة؛ إلّا أن المسكونة منها واحدةً فقط، في وقت تكون فيه الأخريات خاليات، وتجري هذه العملية دورياً. الآن سأخبرك كيف يتمّ هذا. في اليوم الذي يشعر فيه سكّان يوتروبيا بقبضة الملل، ولا يعود أحدٌ قادراً على تحمّل عمله، أقاربه، بيته وحياته، الديون، الناس الذين يجب أن يسلّم عليهم أو يجب أن يسلّموا عليه، يقرّر جميع المواطنين عندئذ الانتقال إلى المدينة المجاورة القائمة في انتظارهم، خالية وجديّدة كمدينة جديدة؛ هناك سيتّخذ كلّ واحد منهم عملاً جديداً، زوجة مختلفة، سيرى مشهداً آخر حين يفتح نافذته، وسيقضي وقته مع تسليات مختلفة، مع أصدقاء مختلفين، مع قبل وقال مختلفَيْن. هكذا تتجدّد حياتهم من انتقال إلى انتقال، بين مدن يجعل مظهرها أو انحدارها أو جداولها أو رياحها كلّ موقع مختلفاً عن المواقع الأخرى بهذه الطريقة أو تلك. وبما أن مجتمعهم منظّمٌ من دون فوارق الثروة أوالنفوذ، فإن المسار من وظيفة إلى أخرى يحدث من دون مضايقات تقريباً؛ ويضمن تعدّد الوظائف التنوّع. ولذا، من النادر في مدى حياة فرد واحد أن يعود إنسانٌ إلى عمل كان قد شغله.

هكذا تُكرّر المدينة حياتها، متماثلةً، متنقّلةً صعوداً وهبوطاً فوق رقعة شطرنجها الخالية. السكّانُ يكرّرون المشاهد ذاتها بممثّلين يتغيّرون؛ إنهم يكرّرون الكلام نفسه بلهجات مركّبة بشكل مختلف؛ إنهم يفتحون على التوالي أفواهاً بتثاؤبات متماثلة.

يوتروبيا وحدها، من بين كل مدن الإمبراطورية، تظلّ هي ذاتها دائماً. عطارد، إله التقلّب، ذاك الذي بالنسبة إليه المدينة مقدّسة، هو من صنع هذه المعجزة الغامضة.

ساتحدّث عن حوانيت السرّاجين التي تفوح منها رائحة الجلود

نمشي في شوارع زمرّدة بعيون تنقّب في الآبار والأقبية

مدن وعيون (2)

مزاجُ المشاهد هو الذي يمنح مدينة زمرّدة شكلها. إذا مررتَ هناك صفراً، أنفُك مشرئبّ وراء الصفّارة، فستعرفها من الأسفل: حافّات نوافذ، ستائر مرفرفة، نوافير. إذا مضيت قُدماً سائراً، مدلّياً رأسك، أطرافك ناشبة في راحتي يديك، ستظلّ نظرتك المحدّقة مشدودةً إلى الأرض، إلى القنوات، أغطية فتحات المجاري، سقط الأسماك، الأوراق الناقلة. أنت لا تستطيع القول إن جانباً من جوانب المدينة أصدق من الجانب الآخر، ولكنّك تسمع عن زمرّدة العليا، بشكلٍ رئيس، من أولئك الذين يتذكّرونها وهم يغوصون في زمرّدة السفلى، سائرين مع امتدادات الشوارع ذاتها كلّ يوم، وهم يجدون في كلّ صباح، مرّة أخرى، نفايات اليوم السابق وقد سُكّتْ قشرةٌ عند أساسات الجدران.

(ترجمة: محمد الأسعد)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

لا كلمات لوصف آجلورا

إذا رغبتُ بوصف آجلورا لك، متمسّكا بما شاهدتُه وجرّبته شخصيا، عليّ ان اخبرك انها مدينة بلا لون ولا شخصية، مزروعة هناك عشوائيا. إلّا ان هذا ايضا لن يكون صحيحا: في ساعات معيّنة، في اماكن معيّنة على امتداد الشارع، تُشاهد، مفتوحا امامك، التلميح الى شيء ما لا يمكن ان يُخطئه النظر، نادر وربما ثمين؛ وتودّ ان تقول ما هو، ولكنّ كل شيء قيل عن آجلورا سابقا يسجنُ كلما تكلّمتَ، ويضطرّك الى ان تكرّر، لا ان تقول.

قراءة

أنبياء الأهوار ما وراء الرواية

الأسماء بين السماء والأرض

لا يحتاج الكاتب العراقي الى اكثر من الاسماء كي يبني روايته الاخيرة. الاسماء وحدها تملكُ حياةً كاملة، كما تملكُ حضوراً كاملاً

عباس بيضون

«أنبياء الأهوار»، الصادرة عن «المؤسسة العربية للدراسات والنشر» (2021)، هي رواية، كما تقدّم نفسها، وليست برواية في الوقت نفسه. أولى مفارقات هذا الكتاب تقع في عنوانه: «أنبياء الأهوار». يوحي العنوان بأن موضوع الكتاب أو الرواية هو الأنبياء الذين قامت نبوءاتهم في منطقة الأهوار العراقية، وهذه، كما نُفهم، منطقة مغطّاة بمياه ضحلة تحيط بقُراها، وهي لذلك نوعٌ من فينيسيا عراقية، ينتقل الناس فيها بقوارب صغيرة تُسمّى في لهجة أهل الأهوار «مشاحيف».

لسنا هنا في أرض النبوءات. ولسنا وحدنا من يعلم ذلك، فالعراقي نعيم عبد مهلهل، مؤلّف الرواية، لا يغفل عن ذكره. ليست الأهوار فلسطين، ولم يطأ أرضها نبيّ. ليس لها نبيٌّ خاصّ إلّا ذلك النبي الذي لا نعرف له موطناً، والبلاد جميعها. والأهوار منها. مواطن له. أنبياء الأهوار إذاً ليسوا من الأهوار ولم يعرفوها، فكيف حمل الكتاب هذا العنوان؟ هذه واحدة من مفارقات الكتاب وليست الوحيدة، فالنصّ عامرٌ بالمفارقات.

الراوي هو تقريباً الشخصية التي تتقاطع عندها نصوص الكتاب، بل هو الشخصية الوحيدة التي نعرف لها سيرة؛ فهو المجنّد الذي خاض الحرب العراقية الإيرانية، وهو أيضاً المعلّم الذي درّس في مدارس الأهوار. إنه الشخصية الوحيدة، وسواه هم معارفه وذكرياته. لا يكفّ الراوي عن أن يسعفي، في شتّى فصول الكتاب، ما يؤلّفه برواية، بل نكاد نفهم أن كلّ فصل هو بحدّ ذاته رواية.

مع ذلك لا نزال نتساءل أين هي الرواية في الكتاب الذي يتتبّع أسماء الأنبياء كما ترد في النصّ القرآني، لا لبروي سيَرها، فهي ليست من الأهوار وليس لها سيَر فيها. نحن هنا لا نقف عند مفهوم ضيّق للرواية، فالسرد هو الذي يميّز الرواية، وقد يكون مبحثاً فلسفياً أو مقالة نظرية. مفهوم الرواية لا يزال يتّسع بحيث أنها تكاد تشمل كلّ سرد، مهما كان أمره وطبيعته. لا نجادل في ذلك، وإن استلفتنا إصرارُ الراوي على أن ننوّه، في فصول شتّى، برواية فيها لا نعثر عليها بسهولة. مع ذلك، فإن خطّة الكتاب قد تؤدّي إلى الرواية، إذا كان مُراد الكاتب.

لا نعثر في الكتاب إلّا على شخصية وحيدة هي شخصية الراوي، الذي قد يكون المؤلّف نفسه. نتابع الراوي وهو يتوقّف عند أنبياء القرآن واحداً واحداً. لا يفعل الراوي ذلك ليجعل من الأنبياء وسيَرهم موضوعه، أو ليعيد رواية أخبارهم كما هي في القرآن، مرجعه شبه الوحيد، وإنْ كان يلتفت أحياناً إلى التوارة حين لا يجد في القرآن ما يكفي لروايته. يمرّ الراوي، المؤلّف على أسماء الأنبياء أكثر مما يمرّ على سيَرهم. إنهم كذلك أسماءُ ثورانية سماوية، أمّا مكانهم على الأرض، في الأهوار، فهو بشكل عام في أسماء الأهواريّين الذين تسمّوا بأسمائهم. روايتهم على الأرض هي هؤلاء الأشخاص الذين انتسبوا إليهم بالأسماء، ولهؤلاء حياةٌ وسيَر وأخبار. إنّهم معارف الراوي، والراوي يتابعهم حتّى بعد أنْ تنقطع صلته بهم. يتابعهم في مواطنهم الجديدة، ويغلب على هؤلاء، لأمر يخصّ الراوي المؤلّف، أن يلاقوا المنيّة في المعركة أو في سواها. الراوي هكذا يضع لهم نهاياتٍ وخواتيمَ. إنهم على الأرض وإن كان من تسمّوا بهم في السماء. هكذا تكون الرواية في السماء كما على الأرض. هكذا تكون، في واقع الأمر، سيَر أسماء، لكنّ أسماء الأنبياء غير الأسماء الأخرى. أسماء الأنبياء تملك بحدّ ذاتها طقساً وكياناً وحياة.

نفهم أنّ الرواية ليست ما نقرأه بل ما هو وراء الرواية

أسماء الأنبياء ومُسمّوْهُم على الأرض هي روايةٌ ما بين الأرض والسماء، رواية المقدّس في السماء وعلى الأرض. لذا، لا تحتاج الرواية إلى أكثر من الأسماء التي وحدها تملك حياةً كاملة، كما تملك حضوراً كاملاً. المقدّس هو الاسم وحده، والاسم هو أيضاً حياته وروايته الكاملة، بل هو كاف ليكون طقساً ويكون مقاماً ويكون حياةً.

هكذا، نتابع الأسماء المقدّسة وهي على الأرض، فكأنّ رواية نعيم عبد مهلهل هي هذا الوسيط، هي هذا السلّم بين الأرض والسماء. هكذا نفهم أن الرواية الحقيقية موجودة في الاسم. نفهم أنها ليست ما نقرأه بل ما خلفه. الرواية هي ما وراء الرواية. ربما لذلك لا يكفّ نعيم عبد مهلهل عن أن يذكّرنا بأنّنا مع الاسم في وسط الرواية، وأن المقدّس، الاسم الذي يتوالى حادثاً بعد حادث، لا يكفّ عن أن يروي.

(شاعر وروائي من لبنان)

نعيم عبد مهلهل

معرض

منمنمات معاصرة على خطى الواسطي وبهرزاد

فيصل لعيبي في يوميات عراقية

يتتبّع الفنان العراقي، في معرضه المقام في «غاليري المرخية» بالدوحة، مشاهد وطقوساً من الحياة الاجتماعية في العراق عبر العقود الستة الماضية

الدوحة ـ **العربي الجديد**

في سبعينيات القرن الماضي، ظهرت لوحات فيصل لعيبي بوصفها إعادة إنتاج بلغة معاصرة للتصاوير والمنمنمات التي راجت في مخطوطات القرن الثالث عشر، لكن انشغالاته بدت مغايرة لمقترحات بصرية عديدة عرفها المشهد التشكيلي العراقي منذ الأربعينيات. أراد الفنان العراقي (1945)، توظيف الرسم في حضارات بلاد الرافدين والفنون الإسلامية من خلال استعارة تقنيات غربية، مستفيداً من دراسته في «المدرسة الوطنية العليا للفنون الجميلة» بباريس بعد تخرّجه من «معهد الفنون الجميلة» في بغداد، وعمله رساماً في الصحافة العراقية لسنوات عدّة. يعكس معرضه «يوميات عراقية»، الذي افتتح في «غاليري المرخية» بالدوحة، نهاية تشرين الأول/ أكتوبر الماضي، والذي يتواصل حتى منتصف الشهر المقبل (كانون الأول/ ديسمبر)، محاولةً جادّة لتقديم رؤية جديدة لرسوم الواسطي وكمال الدّين بهرزاد، تتمثّل في إبراز عمق اللوحة الذي كان غائباً عن أعمال المصوّرين الإسلاميين بأبعادها المسطحة، وخلْق أسلوب منظوريّ وهمي بزوايا متعدّدة، وكذلك تلاعُبه بقواعد التشريح، حيث لا تتطابق مع الواقع.

شُغف لعيبي بالتنوّع اللوني الهائل الذي اعتمده فنانو المنمنمات الأوائل واستخدامهم تدرّجات الألوان بحيوية مذهلة، ما ترك تأثيره البالغ على أعماله التي تنكئ على حالة التضادّ بين الألوان الباردة والحارّة، مع انتباهه في مرحلة مبكّرة إلى أن هذه التباينات والتناقضات تحفّز المتلقّي على التذكّر وإيقاظ حنينه إلى موضوعات رسوماته. وفْق هذه المعادلة، يتتبّع الفنان في معرضه الحالي مشاهد ولقطوساً من الحياة الاجتماعية في العراق طوال ستّين سنة مضَت، ويختار الصيّادين والعمّال وصبّاغي الأحذية والحلّاقين وباعة الفواكه والجزّارين ونسّاجات البسط والحائكات والمصوّرين الفوتوغرافيين وغيرهم من أصحاب المهن أبطالاً للوحته، إلّا أن غايته الأساسية تتحقّق من خلال إزاحة النظر نحو أفعالهم واسترجاع تفاصيل وأجواء لا يزال العراقي مسكوناً بها حتى الآن.

تبرز الامكنة التي يرسمها كخشبة مسرح تتحرّك عليها شخصياته

في توثيقه للواقع، تبرز الأمكنة التي يرسمها لعيبي باعتبارها خشبة مسرح تتحرّك عليها شخصياته وليست فضاءات ثابتة، حيث يميل إلى تقديمها في مناخات من الواقعية السحرية أو تقديمها كفرنفال يتجاور فيه أناس عديدون يقومون بأعمال مختلفة أو يبدون في حالة حوار وتفاعل في ما بينهم أو يطيلون النظر نحو الإمام، أي باتّجاه المتلقّي. كما يحضر حسّ الطرافة والفكاهة في بعض الأعمال من خلال طريقة رسمه الوجوه ونظرات أصحابها وابتساماتهم، والتي تحيل إلى أثر سابق يتّصل بامتهانه رسم الكاريكاتير في بدايات حياته، لكنّها في الوقت نفسه قد تعبّر عن سخرية ما وإنكار للّحظة الراهنة.

تعبّر تجربة لعيبي عن منطقةٍ ملتبسة أو هجينة، فبينما تحيل رسوماته إلى تعبيرية جمالية تحتفي باللون والزخرفة، إلّا أنها تشكّل موقفاً من الواقع والمجتمع ورغبة في اختزال الألم والمعاناة التي عاشها العراقيون من خلال استعادة «روح» تبدو غائبة اليوم، وربما هذا ما يدفعه إلى التأكيد دائماً على أنه فنّان اجتماعيّ ملتزم بقضايا المجتمع، ولا يُؤمن بأن الفن للفنّ.

من المعرض

فعاليات

حتى مساء بعد غد، تتواصل في طنجة فعاليات الدورة 17 من **المهرجان الدولي للفنون المشهدية**، والتي انطلقت أمس السبت. إلى جانب العروض الادائية، تتضمّن التظاهرة ورشا تدريبيةً وندوتَين: **مسارح الجنوب عبر العالم: رؤى لا كولونيالية**، و**شعرية المسارح الوطنية وسياساتها بين العولمة والمحلية**».

ضمن برنامج سنوي ينظّمه حول الكاتبة والباحثة المغربية فاطمة المرنيسي (1940-2015)، يقيم «المجلس العربي للعلوم الاجتماعية» في بيروت، عند الخامسة من مساء بعد غد الثلاثاء، محاضرة تلقيها، عبر منصّة «زووم» الخاصة بالمجلس، الباحثة اللبنانية **زينة زعتري** (الصورة) بعنوان **تحوّلات الحركات النسوية والكويرية في المنطقة العربية: السردية والتغيير المجتمعي**.

ينظّم مركز «الجزويت الثقافي» في الإسكندرية، عند الخامسة من مساء غد، جلسة افتراضية حول كتاب **فجر الضمير** لـ**جيمس هنري برستد** (الصورة)، يُقدّمها **محمد سامي**. استناداً إلى دراسته البُردية على مدى عقدين، يُحاجج عالم الآثار الاميركي (1865-1935) بأنّ الحضارة المصرية هي مهد القيَم الإنسانية.

في «المؤسّسة العامّة للحي الثقافي/ كتارا»، يتواصل حتى الخامس من كانون الاول/ ديسمبر المقبل معرض **وجوه الحرية** للفنّان الهايتي **جان كلود لوغانيير**. يضم المعرض 22 لوحةً تضيء على التواريخ الفردية والمشتركة، والخصائص الحضارية والموروثات والعناصر التي تشكّل الثقافة والهوية في هايتي اليوم.